

السلام النفسي

ما أجل أن يعيش الإنسان في سلام مع نفسه ، و سلام مع أسرته ، و سلام مع عائلته ، و سلام مع جيرانه ، و سلام مع زملائه ، و سلام مع أصدقائه ، و سلام مع المجتمع ، و سلام مع الناس أجمعين ، غير أن هذا السلام لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال نفوس صافية تحكمها ضوابط إيمانية وإنسانية راقية ، من أهمها ، أن يكون للإنسان وجه واحد ظاهره كباطنه ، لا أن يكون من ذوي الوجهين الذين يلقي الواحد منهم هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهِينِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ " (صحيح مسلم).

ومنها أن يكون محباً للخير للناس أجمعين ، رحيماً ، ودوداً ، سهلاً ، هيناً ، ليناً ، يألف ويؤلف ، فالمؤمن يألف ويؤلف ، والكافر فظ غليظ لا يألف ولا يؤلف ، والمؤمن مفتاح للخير مغلاق للشر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنْ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنْ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ " (سنن ابن ماجه)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " (متفق عليه) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ " (صحيح البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهُ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " (متفق عليه).

ولا يمكن للإنسان أن يكون في سلام مع نفسه أو مع الآخرين إلا إذا كان منصفاً للآخرين من نفسه يعمل في إطار الحقوق المتكافئة المتبادلة ، ويطبق عن قناعة مبدأ الحق والواجب ، فالعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على الحقوق المتبادلة ، يقول الحق سبحانه : " وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ " (البقرة : ٢٢٨) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :

" أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُؤْطِنَنَّ فُرْشَكُمْ مِنْ تَكَرُّهُنَّ ، وَلَا يَأْدَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكَرَّهُونَ ، أَلَا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ " (سنن الترمذي) .

والعلاقة بين المواطن والدولة ، وبين العامل ورب العمل ، تقوم على الحق والواجب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه سبحانه : " قَالَ اللَّهُ : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ عَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ " (صحيح البخاري) ، أما من تغلبه شهوته وأنانيته ، فكما يقولون : ما استحق أن يولد من عاش لنفسه .

وهذا السلام النفسي يقتضي أن يؤمن كل منا بحق الآخر في الحياة الكريمة الآمنة المستقرة ، ويدرك أن هناك قواسم إنسانية مشتركة أجمعت عليها جميع الشرائع السماوية ، يؤدي الالتزام بها والوفاء بمتطلباتها إلى أن تسود الطمأنينة والاستقرار والسلام النفسي والمجتمعي بين الجميع ، ومن هذه المشتركات ما يعرف بالوصايا العشر التي وردت في أواخر سورة الأنعام ، يقول سبحانه : " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كُنَّا ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْتَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (الأنعام : ١٥١ - ١٥٣) ، فقد قال سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب ، وهي محررات على بني آدم جميعاً ، وهن أم الكتاب " أي أصله وأساسه " ، من عمل بهن دخل الجنة ، ومن تركهن دخل النار .

فلو نظرنا فيما تضمنته هذه الآيات الكرييات من جوانب إنسانية لوجدنا أنها تعد مشتركا إنسانياً بين بني البشر ، وتسهم في تحقيق أعلى درجات التعايش السلمي فيما بينهم ، حيث تقوم على حرمة قتل النفس أي نفس وكل نفس ، فكل الدماء مصونة ، وكل الأعراض محفوظة ، " وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ " ، ومال اليتيم والضعيف مرعي ومصان ، مع الوصية بالعدل مع القريب والبعيد على حد سواء ، والوفاء بعهد الله مع الجميع المسلم وغير المسلم ، الصديق والعدو ، وإقامة الكيل والميزان بالقسط ، والبعد عن المال الحرام وكل ألوان الاستغلال والتطيف والغش والخداع ، مما يحقق أعلى درجات الحياة الآمنة في كل جوانبها ، ويحقق للإنسان سلام النفس فيما بينه وبين نفسه ، وبينه وبين مجتمعه ، وبينه وبين الإنسانية ، بل الكون كله .

* * *